المحور الأول

المحاضرة الأولى

مدخل عام

تتمثل ***الكفاءات والمؤهلات البيداغوجية*** *المنشودة من هذه المحاضرة فيما يلي:*

*-**تمكين** الطالب من رصيد معرفي دقيق وداعم في مجال اختبارات الشخصية. بالتعرف على المفاهيم ذات الصلة المباشرة.*

*-اكتساب القدرة على **التفريق** بين معاني المفاهيم أثناء الاستخدام الميداني المهني.*

*-كونها من أصعب أدوات القياس من ناحية البناء والتطبيق واستخلاص النتائج في مجال قياس الشخصية فان استدخال هذه المفاهيم **والتمكن منها والتماهي بها** أثناء الممارسة يساهم في بناء بروفيل الممارس النفسي لاحقا.*

تمهيد:

يتضمن المحور الأول جملة من المفاهيم المرتبطة ارتباطا وثيقا بالممارسة السيكومترية، تغطي الخطوات التي تصبح مهمة إلى حد ما في كونها:

- تمنح الطالب (ة) إدراكا معرفيا حول تداخل وتكامل العمليات الفكرية التي تقوم عليها جملة المفاهيم المختارة بعناية لإبراز الخلفية النظرية لاختبارات الشخصية.
- تكملها وتحتويها باعتبارها الإطار العام الذي يشمل الممارسة السيكومترية في علم النفس العيادي وتؤطرها منهجيا وعمليا.
- لا يمكن بأي حال الولوج المباشر إلى مفهوم اختبارات الشخصية واستخداماتها بدون إبراز أهمية السياقات المعرفية التي تم من خلالها التأسيس لعمليات القياس، التقييم، الاستخبار في بناء الشخصية.
- التذكير بهذه المفاهيم لا يعتبر إعادة التطرق إليها كما تم تناولها في مقرراتها السابقة وإنما يتم تقديمها في قالب منهجي يتضمن ربط مدلولاتها، تاريخها، آلياتها بصورة مباشرة بعملية القياس، وعلى الطالب (ة) في هذه الحالة العمل على استنتاج حلقة الربط بين ما هو نظري وما هو تطبيقي.

اختيار هذه المفاهيم يعتبر كذلك تناول أكثر عمقا ووضوحا في ارتباطها بمحتوى المقياس المتمثل في اختبارات الشخصية. كذلك هي خطوة لا يمكن الاستغناء عنها في الاستعداد لعالم القياس في مجال الشخصية الذي يعتبر من أكثر المجالات صعوبة في الممارسة العيادية كونه يشترط قاعدة نظرية متينة في علم الشخصية والعلوم المكملة لها.

أول ما يمكن التطرق إليه حول ما يسبق الممارسة السيكومترية هو جملة المفاهيم المرتبطة باختبارات الشخصية حيث يتراءى لنا أن أول المفاهيم هو:

1- الشخصية:

يدرس علم النفس الشخصية من ناحية مكوناتها وأبعادها الأساسية ونموها وتطورها ومحدداتها الوراثية والبيئية، وطرق قياسها واضطراباتها. كل ذلك على أساس نظريات متعددة كثيرا ما تكون متباينة وان كان الهدف بينها مشترك وهو التنبؤ بالسلوك الإنساني في مختلف المواقف والأوقات (الأنصاري، 2000، 29). ويظهر التباين بوضوح في عاملين أساسيين هما:

- التوكيد على أي مظاهر سلوك الفرد وشخصيته تعتبر أساسية (مركزية).
- وجهات النظر فيما يتعلق بكيفية نمو هذه الخصائص الهامة للشخصية أو اكتسابها وعلاقاتها فيما بينها.(روتر، 1971/ 1986، ص 26)

من هذا المنطلق ينظر عبادة (2001) إلى الشخصية باعتبارها نظام متكامل من السمات الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية، الثابتة نسبيا والتي تميز الفرد عن غيره وتحدد أسلوب تعامله وتفاعله مع الآخرين، وأيضا مع البيئة الاجتماعية والمادية المحيطة به...وعليه تتبلور شخصية الفرد من خلال البيئة الاجتماعية التي تحيط به وما تحتويه من عوامل ايجابية وسلبية. ترتبط هذه الأخيرة بالبيئة الأسرية، المدرسية، المجتمعية (ص 13-16). كما ويعتبر كل من Allport البورت 1937؛ Guilford جيلفورد 1959؛ Cattel كاتل 1943؛ Eysenk ايزينك من الرواد الأوائل البارزون في دراسة الشخصية وتقصي مركباتها الداخلية والخارجية.

أما علم الشخصية كتخصص في علم النفس فيعتبر شديد الحداثة، بدأ ظهوره مع مطلع القرن 20م من خلال مؤلفات بارزة منها: كتاب "**الشخصية: تفسير نفسي**" لالبورت Allport 1937م؛ وكتاب "**مكتشفات الشخصية**" لموراي Murray 1938م.

يركز البحث العلمي حول الشخصية على الأهداف الوصفية. على فهم الشخص أو فهم الفروق الفردية، ومن ذلك معرفة الأسلوب السلوكي للفرد، أداءه الفكري، الدوافع، المواقف والمعتقدات. وان تكون هذه المعرفة أكثر شمولية ودقة.

يعتمد هذا الفرع الجديد على ثلاث نماذج بحثية تتمثل في: النموذج العيادي، الارتباطي، والتجريبي (برافين، 2003 ،2010). أين يصب مجهود الباحثين الممثلين لهذه النماذج في البحث في مجال الشخصية وتركيبها؛ هذا المجال الذي تطور بتطور القياس عن طريق التجربة والاختبار(تحديد الفروق الفردية، قياس السمات). إلى تحديد آليات ومعايير التصنيف في مجال السواء واللاسواء؛ ومنه تولد التيار العيادي الذي يقوم على مفهوم التشخيص ودراسة الحالة. وفي هذا الجدول ستتم الإشارة إلى خصائص هذه النماذج الثلاثة وروادها:

النموذج	الرواد	الخصائص
العيادي	جان شاركو وتلاميذه Jean Charcot بيير جانييه Pierre Janet مورتون برنس Prince Morton هنري موراي Henry Murray فرويد Freud كارل روجرز Karl Rogers	- يوفر فرصة مشاهدة ظواهر شديدة التنوع وأداء الفرد ككل. - يصعب على الباحثين تأكيد المشاهدات أو صياغة الفروض. - يمكن المزاوجة بينه وبين مناهج أخرى في البحوث حول الشخصية.
الارتباطي	فرانسيس جالتون Frances Galton كارل بيرسون Karl Pearson تشارلز سبيرمان Charles spearman ريموند كاتل Raymond Cattel ايزينك Hans Eysenk	- يقوم على بيانات تم استيفاؤها من خلال تطبيق الاختبار على عدد كبير من الأفراد. - يقوم على دراسة العلاقات بين القليل من عناصر أداء الشخصية (الفروق الفردية) - يستخدم مفهوم السمة كوحدة أساسية للشخصية. - إنشاء تصنيف لوحدات الشخصية التي تتغاير بشكل نموذجي (زيادة أو نقصان) مثل: نموذج العوامل الخمسة للشخصية.
التجريبي	فلهم فونت Wilhelm wundt بافلوف Pavlov ايبنهاوس Ebbinghous سكينر Skinner واطسون Watson	- يتضمن التناول المنظم للمتغيرات. - يبحث في مبدأ السببية. - يوفر ويضبط البيئة التجريبية. - يناقض تماما النموذج العيادي من حيث المنطلقات البحثية.

جدول رقم (01): النماذج البحثية في علم الشخصية (برافين، 2003، الصفحات 28-78)

يأتي تناول هذه النماذج في علم الشخصية كونها حلقة الوصل بين النظريات النفسية والدراسات البحثية في ذات المجال. يغذي كل منهما الآخر وتتداخل الطرق والأساليب القياسية والإحصائية مع المعطيات والتأويلات النظرية لبناء قاعدة علمية في مجال القياس.

سمحت الطريقة العيادية القائمة على الملاحظة بالتأسيس لنوع محدد من المعارف حول سيرة الإنسان. من خلال شكلين أساسيين: داخلي بمعنى ملاحظة الذات (الاستبطان)، وخارجي أي ملاحظة الآخر. يأتي الشكل الأول بمثابة أرضية لعلم النفس ما قبل التجريبي الذي يرفض في حقيقة الأمر أن يتم اختزال علم النفس إلى مفهوم "الوعي". وساهم الشكل الثاني في التأسيس لعلم النفس السلوكي الارتباطي والنظريات التي تلته وحذت حذوه (Clapier-Valladon, 1991).

2- القياس وقياس الشخصية:

يعتبر القياس النفسي **P**sychological **T**esting **M**easure (**PTM**) فرع من فروع علم النفس. يهتم بقياس مظاهر السلوك والتوصل إلى تقدير كمي وكيفي لها، بهدف المسح، التنبؤ، التشخيص، العلاج والمتابعة. عطفا على هذا افترض عبد الخالق (1993) ثلاثة مستويات يقوم عليها القياس النفسي وتتمثل في:

- السمات المشتركة التي تعتبر تراكيب متشابهة بين جميع الأشخاص تختلف من الناحية الكمية ما يسمح بإجراء مقارنات كمية داخل المجموعة.
- الطبيعة الكمية للسمات التي يفترض انه يمكن تقديرها كميا عن طريق المؤشرات الدالة على السمات.
- تلك المؤشرات أو السمات تكون مرتبطة بتركيب داخلي ويعكس الطريقة التي يدرك بها الشخص ذاته.

يتم استخدام مصطلحي التقييم النفسي (**PA**) **P**sychological **A**ssessment و الاستخبار النفسي (**PT**) **P**sychological **T**esting بشكل مترادف أحيانا لتقارب المعنى. غير أن الاستخبار النفسي يعتبر احد مصادر المعلومات التي يمكن استخدامها في إجراء التقييم النفسي. تتضمن إجراءات جمع بيانات متعددة تؤدي إلى تكامل المعلومات من مصادر متنوعة وبالتالي فان إجراءات جمع البيانات المستخدمة في استخبار جمع معلومات التقييم تساهم فقط في جزء من البيانات التي تستخدم عادة في عملية اتخاذ القرار المعقدة التي تشكل التقييم **.(Graham & Naglieri, 2003)**

بالمقابل انطلقت حركة القياس في مجال الشخصية منذ القرن 19م بالتركيز على الفروق الفردية التي كانت خاصية بارزة في استجابات الأشخاص، لتتوسع فيما بعد إلى التقييم العقلي وقياس الانفعالات (Binet, Galaton)، في محاولة لوضع معايير تقديرية للجوانب السوية في الشخصية.

كما وظهرت حركة قياس موازية تتبنى منهج التصنيف في محاولة للتركيز على الجوانب اللاسوية في الشخصية (الاضطرابات النفسية، الإعاقة الذهنية).

تأثرت حركة القياس في مجال الشخصية بالمرجعيات النظرية التي واكبتها كحركة التحليل النفسي القائمة على مبدأ الشعور في تركيب الشخصية وتطور نظريات الإحصاء.

ويعتبر قياس الشخصية من المجالات الهامة في مضمار القياس السيكولوجي؛ كونه يهتم أساسا بالمظاهر الوجدانية، اللاعقلانية، الدوافع، الميول، الاتجاهات (عوض، 1998)؛ وينصب التركيز في القياس النفسي على القياس الموضوعي والدقيق. يمكن من قياس سمات مثل: الاستقرار الانفعالي أو الاندفاعية على مجموعات كبيرة من الأفراد. الأمر الذي يسمح بالتقييم المعياري بالاعتماد على مقاييس موثوقة وصادقة.

يحتاج القياس في مجال الشخصية إلى إطار محدد يضمن له قراءة نظرية للمعطيات العامة والإحصائية. تنقسم النظريات النفسية في علم النفس الشخصية إلى مجموعتين اثنتين: النظريات الدينامية أين يمكن القول بسيطرة النموذج التحليلي؛ والنظريات البنائية حيث البحوث النمطية

والمفاهيم العاملية المستوحاة من التحليل الإحصائي للمعطيات(**Benedetto, 2008**) . يعتمد علماء النفس على طرق مختلفة في البحث في مجال الشخصية ويقوم ذلك على أي جانب من جوانب الشخصية يراد قياسه وتقييمه. يهتم بعض العلماء بالجوانب الظاهرة (السلوك اللفظي وغير اللفظي) كاستجابة لمثيرات معينة. في حين يركز آخرون على فهم المشاعر والتجارب الواعية بالاستعانة باختبارات واستبيانات متعددة وقوائم التقرير الذاتي. ولا يزال البعض يسعون لفهم القوى اللاواعية. وعليه فان طرق تقييم الشخصية المتعددة يمكن أن تناسب احد جوانب الشخصية دون سواه **(Schultz & Schultz, 2017).**

على غرار ذلك يستخدم علماء الشخصية مقاربتين أساسيتين للقياس. يطلق على الأولى مسمى المقاربة الفردية أو الشخصية «**Idiographic**»، حيث تشير "**Idios**" الكلمة اليونانية إلى معنى الخاص، الفردي أو الشخصي. يفضل الباحثون في هذه المقاربة منهج التحقيق الفردي الذي يقوم على افتراض أن الناس لديهم خصائص فريدة لا يمكن إعطاؤها مصطلحات متطابقة. كما ويقدم معلومات ثرية حول الفرد يصعب تعميمها على الآخرين، ومن أمثلة عن هذه المقاربة نجد البيئة العلاجية في التحليل النفسي.

بالمقابل ينصب التركيز في المقاربة التي يطلق عليها مسمى «**Monothetic**» التوحيدية أو المشتركة، وهو مصطلح مشتق من كلمة قانون. يبحث في أوجه التشابه على المبدأ القائل بأنه يمكن تمثيل كل شخص بدرجات متفاوتة من نفس الشيء. بوجود وصف وشرح وتنبؤ. من أمثلة ذلك نظرية السمات والقياس النفسي التي تتيح التنبؤ بالسلوك. يمكن إجراء مقارنة بين المقاربتين في الجدول التالي:

المقاربة	Idiographic (كل شخص فريد من نوعه)	Monothetic (النقاط المشتركة بين الأفراد)
مقاربة البحث	نوعية	كمية
أدوات جمع البيانات	المقابلات، اليوميات، بيانات العلاجات العيادية	نتائج استخبارات التقييم الذاتي
المزايا	العمق في فهم الفرد	المقارنة بين الأفراد والقدرة على وضع التنبؤات
العيوب	إشكالية التعميم	بروفيل وصفي سطحي

جدول رقم (02): أوجه التشابه والاختلاف بين المقاربة الفردية والمشتركة

3- التصنيف:

التصنيف هو تخفيض عدد الظواهر وتحديدها على أساس خواص مشتركة بين مفردات الصنف الواحد، بحيث يسهل إخضاع الظواهر المنفردة لقوانين عامة تُسَهل فهمها والتعامل معها (الحجاوي، 2014، صفحة 130) ؛ ويشير كذلك إلى :" عملية تقييم عناصر مجموعة من الموضوعات إلى عدد من الفئات على أساس الخصائص العامة لها من حيث التشابه والمماثلة. وكل موضوع مصنف ينتمي لفئة واحدة" (مصطفى و واخرون، بدون سنة، صفحة 122).

ظهرت أول قائمة تصنيفية تتضمن الاضطرابات العقلية سنة 1936 ويتعلق الأمر بقائمة أسباب الوفاة لدى الإنسان (**ICD 5** , **I**nternational **l**ist of **C**auses of **D**eath) وقد صنفت الاضطرابات العقلية ضمن أمراض الجهاز العصبي. وتوالت بعدها إصدار ذات القوائم مع تعديلات جديدة وأكثر إدراجا للاضطرابات العقلية. كما وصدر سنة 1952 أول دليل تصنيفي أمريكي للاضطرابات العقلية والذي عرف بـ : Manual of Mental Disorders، وتميزت الأعداد اللاحقة لذات الإصدار بكونها أكثر شمولية لمحاور تشخيصية متعددة ومزود وبدلالات تشخيصية محددة لكل حالات الاضطرابات العقلية المدرجة (الحجاوي، 2014).

4- التقييم:

تتناسب عملية استخلاص البيانات المتعلقة بتقييم الشخصية مع المرجعية النظرية للباحثين، وبالتالي اختلفت تقنياتهم من الناحية الموضوعية، الصدق والثبات. وتتنوع هذه التقنيات بين تفسير الأحلام وذكريات الطفولة إلى اختبارات الورقة والقلم. أما حاليا فالمناهج الرئيسية لتقييم الشخصية تتمثل في:

-) التقرير الذاتي أو قوائم وسلالم الجرد الموضوعية.
-) تقنيات اسقاطية.
- المقابلات السريرية.
-) إجراءات التقييم السلوكي.
-) إجراءات التقييم العمليات الفكرية. **(Schultz & Schultz, 2005)**

ويشير مصطلح التقدير **Assessment** مقارنة بمصطلح مقياس **Mesure** أو اختبار **Test** إلى شيئين اثنين:

أولا: إلى الجهود المبذولة لجمع أنواع عديدة من المعلومات عن الفرد حتى نصل إلى فهم واضح لمختلف جوانب شخصيته. أي فهم للشخصية ككل. هذا بمقابل التركيز عند القياس والاختبار على جوانب نوعية محددة في الشخصية. وهو ما يؤدي إلى...

ثانيا: إن ما سنحصل عليه من معلومات ستستخدم لخلق تنبؤات أو اتخاذ قرارات بناء على ما يصل إليه التقرير. (برافين، 2010، صفحة 403)

5-التشخيص:

التشخيص كلمة مشتقة من أصل يوناني تعني "الفهم الكامل"، وتشير في علم النفس والعلوم الطبية إلى الخطوات الأساسية التي تتضمن الوصف وتحديد الأسباب. (مصطفى و واخرون، بدون سنة) أما مفهوم التشخيص الدينامي فهو التوصل إلى افتراض دقيق عن طبيعة وأساس مشكلة المريض. وفهم العلاقة بين الأعراض والشخصية الكلية. والتشخيص التصنيفي هو احد أساليب التشخيص ويقوم على تصنيف الأعراض المرضية.

اصطلاحا كلمة « **Diagnostic** » ترتبط بمفهوم « **gnose** » الذي يعني "المعرفة"، أما المقطع « **dia** » فيرجع إلى فكرة الفصل أو الانفصال ويشير إلى معنى التفريق في فحوى المعارف. ويذهب التوجه الحالي في مختلف العلوم نحو منحنى المقاربة التشخيصية مع ضرورة توخي الحذر في الأسس الأخلاقية لهذه الممارسة **(Piot, 2010, p. 360)**

لقد كان لهيرمان رورشاخ الفضل الكبير في إدخال مفهوم التشخيص النفسي في مؤلفه "Psychodiagnostic" سنة 1921. ويؤكد كل من **Jager & Peterman 1999** أن هذا الأخير هو عملية جمع منهجي للمعلومات وإعدادها وضبطها وتحسينها. واستخدام الاختبارات النفسية يشكل جزءا من التشخيص النفسي. ويذهب **Amelang & Schmidt-Atzert 2012** إلى اعتبار التشخيص النفسي فرع من فروع علم النفس كونه يساعد في الإجابة على المسائل التي تستند إلى وصف أو تصنيف أو تقدير

السلوك و الخبرة الإنسانية والتنبؤ بهما.كما يهتم بنظرية التشخيص وتصميم الطرق والأدوات التشخيصية وتحليلها (سامر، 2014)

يحاول المختصون الإكلينيكيون فهم أعراض مرضاهم أو عملائهم من خلال محاولة تقييم شخصياتهم بالتمييز بين السلوك والمشاعر العادية والمرضية. عن طريق تقييم الشخصية يمكنهم تشخيص الاضطرابات وتحديد أفضل مسار للعلاج. ويتم محاكاة نفس الطريقة في معالجة المشكلات والصعوبات المدرسية؛ أثناء انتقاء أحسن المرشحين لشغل وظيفة معينة في المجال المهني. أما في البحث فيحاول الإكلينيكيون تقييم شخصية المشاركين بالبحث في محاولة لتقييم السلوك في تجربة ما أو لإيجاد الارتباط بين سمات الشخصية بقياسات أخرى **(Schultz & Schultz, 2005).**

إن تناول المفاهيم النفسية ذات الصلة باختبارات الشخصية يعتبر ذو أهمية بالغة لطلبة علم النفس العيادي خصوصا مع افتقار المرجعية البيداغوجية المعتمدة في هذا المقياس للعديد من الأركان الأساسية التي تساهم في إعداد الطلبة في هذا التخصص إعدادا جيدا.

إن مجال اختبارات الشخصية ليس مولودا حديثا في علم النفس وإنما هو تراكم لتداخل العديد من المرجعيات النظرية التي أبت إلا أن تؤسس إلى علم القياس في مجال الشخصية. وعليه فانه يستوجب على الطالب (ة) التأكد من اكتساب قاعدة مفاهيمية صلبة تسمح له ببناء مهاراته في تطبيق الاختبارات النفسية.

- **مصطلحات (عربي/فرنسي/انجليزي)**

المصطلح	فرنسي	انجليزي
الممارسة السيكومترية	*La pratique psychométrique*	***Psychometric practice***
علم الشخصية	*Science de la personnalité*	***Personality science***
اختبارات الشخصية	*Tests de personnalité*	***Personality tests***
اختبار/استخبار	*Test*	***Test***
القياس/القياس النفسي		***Psychometric***
التقييم/التقييم النفسي/ التقييم السلوكي	*Evaluation Psychologique/Evaluation Comportemental*	***Psychological assessment /Behavioral assessment***
التصنيف	*Classification/ catégorisation*	***Classification/Categorisation***
التشخيص	*Diagnostic*	***Diagnosis***
الفروق الفردية	*Différences Individuel*	**Individual differences**
النموذج العيادي/ الارتباطي/التجريبي	*Modèle clinique, corrélationnel/expérimental*	**Clinical, correlational, experimental model**
السواء واالسواء	*Normal /Pathologique*	***Normal & Abnormal***
التقرير الذاتي	**auto-rapport**	***Self Repport***
المقاربة الفردية/المقاربة المشتركة	*Idiographique/ Monothétiqu*	***Idiographic/Monothetic***
سلالم الجرد الموضوعية	**Échelles d'inventaire objectif**	***Objectiv Inventory Scales***
تقنيات اسقاطية	*Techniques Projective*	***projective* techniques**
الاستبطان	**Introspection**	**Introspection**
الوعي	*Conscience*	**Consciousness/ conscience**

- **قراءات ينصح بها:**

- Gray groth-Marnat. (2003). **Handbook of psychological assessment**. 4th ed. New Jersey: John Wiley & Sons, Inc.

- Jean-Luc Bernaud. (2008). **LES Méthodes de l'évaluation de la personnalité.** 2édition. Paris :DUNOD.